الجمعية الفقهية السعودية
الجمعيّة الفقهيّة السعوديّة
أوراق المناشط العلمية

كتاب الرسالة للإمام الشافعي رحمه الله

حديث في النشأة والمضامين والأثر

لقاء علمي قدمه فضيلة الشيخ

أ.د. فهد بن سعد الجهني

عضو هيئة التدريس بكلية الشريعة والأنظمة بجامعة الطائف

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة مدير اللقاء: سعد بن عبدالله الزعاقي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين. اللهم فقّهنا في الدين، وعلّمنا التأويل. فأشكر لكم حضوركم، ولضيفنا تلبية الدعوة في هذه الأمسية واللقاء الماتع المقام من الجمعية الفقهية السعودية. فجزاكم الله عنا وعن العلم وأهله كل خير.

وستكون هذه الأمسية في التعريف بكتاب أُسس به الأصول، وأجاب عن أهم سؤالين يُعالجان في الأصول: ما الأدلة التي يصح الاستدلال بها؟ وكيف يُستدل؟ كتاب الرسالة للإمام الشافعي رحمه الله، حديث النشأة والمضامين والأثر، يقدمه الأستاذ الدكتور فهد بن سعد الجهني، عضو هيئة التدريس بكلية الشريعة والأنظمة بجامعة الطائف، في مساء يوم الثلاثاء الموافق اليوم الأول من شهر شعبان لعام ١٤٤٧ للهجرة.

وضيفنا في هذه الليلة من طلاب شيخ الأصوليين عبدالله بن غديان رحمه الله، ورسالته في مرحلة الدكتوراه عن القياس عند الإمام الشافعي، فقد عايش الشافعي طيلة بحثه في مرحلة الدكتوراه. فنسأل الله له التوفيق والسداد والإعانة، وأن يجعلنا وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

وسيكون اللقاء في قرابة الساعة، ثم سيُتاح وقت للمداخلات من مشايخ كرماء، فجزاهم الله عنا كل خير: الأستاذ الدكتور محمد بن حسين الجيزاني، والأستاذ الدكتور سعيد بن متعب القحطاني، والدكتور محمد بن طارق الفوزان، والدكتور بندر بن عبدالعزيز العنزي. فجزاهم الله عنا كل خير. فليتفضل شيخنا مشكوراً مأجوراً.

كلمة ضيف اللقاء: الأستاذ الدكتور فهد بن سعد الجهني.

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله الذي لا يُؤدَّى شكر نعمة من نعمه إلا بنعمة منه. أحمدُه سبحانه كما ينبغي لكريم وجهه وعز سلطانه، وأستعين به لا حول ولا قوة إلا به، وأصلي وأسلم على خيرتي من خلقه، إمامنا وسيدنا ونبينا محمد. اللهم صل وسلم وبارك عليه كلما ذكره الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون.

وبعد، أيها الإخوة الكرام، أصحاب الفضيلة العلماء وطلبة العلم، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد شكر الله تعالى، أشكر الجمعية الفقهية السعودية المباركة، رئيساً الأخ الشيخ الصديق الأستاذ جميل الخلف، وأعضاء وفريق العمل معه، على ثقتهم ومنحهم إياي فرصة اللقاء والحديث والاستفادة من أصحاب الفضيلة العلماء وطلبة العلم.

ونحن في هذه الأمسية، كما ذكر الأخ المقدم جزاه الله خيراً، نتحدث عن علم من أعلام هذه الأمة، ورمز من رموزها، الذي توفي قبل ألف ومائتين وثلاث وأربعين سنة، ولكن ذكراه وذكره وعلمه لا يزال حياً رطباً نتذاكره إلى ساعتنا هذه. نتحدث في هذه الليلة أيها الإخوة عن مؤلف ومؤلَّف.

وبين يدي المؤلِف أقول: كان الشافعي رحمه الله كالشمس للدنيا، وكالعافية للبدن. وهذا هو كلام الإمام أحمد رحمه الله. وبين يدي المؤلَّف أقول: أنا أنظر في الرسالة منذ خمسين عاماً، ما أعلم أني نظرت فيها مرة إلا وأنا أستفيد منها شيئاً لم أكن أعرفه. وهذا الكلام للإمام المزني رحمه الله صاحب الشافعي. وكان الإمام أحمد رحمه الله يقول عن نفسه: صاحب حديث لا يشبع من كتب الشافعي.

أيها الإخوة، من العلماء من يكون صاحب مشروع ومؤسس علم، وراسم منهج، ومن هؤلاء الإمام محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان الشافعي المطلبي رحمه الله، الذي كان هو وكتابه الرسالة علامة فارقة في تاريخ العلم والتصنيف والتأسيس عند المسلمين. والإمام الشافعي حتى نفهم فكرة التأسيس، يمكن أن نضيف له علماً آخر توفي في القرن الذي مات فيه الشافعي،

هو الإمام البخاري رحمه الله. فكلا الإمامين مؤسس: هذا في أصول التشريع وضبط الفهم، وذاك في حفظ السنة وضبط النص. لقد كان الشافعي راجحاً وافراً كما قال إسحاق بن راهويه، وزاد الله في المسلمين أمثاله.

وحتى نضبط الوقت، ندخل في العنصر الأول بحسب نظم عناصر هذا اللقاء المبارك، ونتكلم عن الروافد العلمية التي ساعدت في تشكيل هذه الشخصية العلمية الفريدة، التي اختلفت حقيقة عن الأئمة الثلاثة الآخرين رحمهم الله، في أن تعدد الروافد العلمية عند الشافعي لم تتوفر لغيره ممن كان في عصره تقريباً من الفقهاء، وحتى من كبار المحدثين. وذلك – أعني – كثرة تنقله في الأمصار.

الشاب رحمه الله تعلم في مكة، وفي المدينة، وهذه أمصار المسلمين العظيمة، وفي اليمن واستفاد منها كما سيأتي، وفي بغداد في رحلاته المتعددة، ثم ختم حياته في مصر. فهذه خمس أمصار أثرت في تكوين الإمام الشافعي رحمه الله.

فإذا تكلمنا عن المرحلة الأولى، وهي المرحلة المكية، وهي مرحلة التأسيس – أنا سمّيتها مرحلة التأسيس – حاولت أن أتتبع أيها الإخوة هذه المراحل بعناية، وندرس كل مرحلة عاش فيها الشافعي وأدرس البيئة التي عاش فيها الشافعي، وكم كان عمره في تلك البيئة في ذاك الوقت؟ وما هو العلم الذي اكتسبه الشافعي رحمه الله في هذه البيئة؟ يعني ما الذي تميزت به هذه البيئة من ناحية العلوم والتي استفاد منها الشافعي رحمه الله.

الشافعي رحمه الله في بيئته في حياته المكية – ومكة كما تعلمون أم القرى ومأوى الأفئدة – مما تميز به العلم المكي العناية بالقرآن وعلومه مع العلوم الأخرى كالفقه والحديث، وذلك لأن أثر الصحابي الجليل الحبر عبدالله بن عباس، ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم، لم يزل باقياً طرياً، وتلامذته الذين أخذوا عنه وسمعوا منه لا يزالون متوافرين يعلمون الناس بينات من الهدى والفقه. ومن أبرز هؤلاء الأئمة الكبار: عكرمة ومجاهد وطاووس وعطاء إلى آخره. أدرك الشافعي رحمه الله أئمة كباراً سمعوا من هؤلاء الأئمة الكبار من تلاميذ ابن عباس. كما يقول الذهبي رحمه الله،

يقول النسائي في طبقات الحفاظ: وبعد هؤلاء عمر بن دينار، وبعده ابن جريج وسفيان بن عيينة، وبعد هؤلاء مسلم بن خالد الزنجي – هكذا بالترتيب – وسعيد بن سالم، وبعد هؤلاء محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله.

كان لهذا الاتجاه العلمي المكي أثره الواضح على تأسيس الإمام الشافعي وهو شاب صغير، وظهر ذلك في عنايته بالقرآن وعلومه وتفسيره، وهذا ظاهر في كتاب الرسالة، وهذا ظاهر في كتابه عن أحكام القرآن سواء الذي جمعه البيهقي أو الذي ألفه هو استقلالاً.

شيوخ الإمام الشافعي في مكة كثر، يعني أنا ذكرت منهم تقريباً تسعة عشر شيخاً لازمهم الإمام الشافعي في مكة، ومن هؤلاء الشيوخ من أشهرهم الذين أثروا في علم الشافعي: سفيان بن عيينة الهلالي رحمه الله، الإمام الكبير المتوفى سنة ١٩٦. هذا سفيان رحمه الله أدرك كبار أهل العصر كالزهري ويحي بن سعيد وخلق كثير. هذا العلم العظيم فاز الإمام الشافعي منه بحظ عظيم ونصيب وافر. وكان الشافعي يقول: لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز. وعنه قال: وجدت أحاديث الأحكام كلها عند ابن عيينة سوى ستة أحاديث.

من خلال تتبع لترجمة سفيان حتى أحاول أن أصل إلى ما هي الميزة في سفيان التي لم تتوفر في غيره؟ وهل اختص بعلم معين استفاد منه الشافعي؟ جاء في سير أعلام النبلاء قال حرملة: سمعت الشافعي يقول: ما رأيت أحداً فيه من آلة العلم ما في سفيان بن عيينة، وما رأيت أكف عن الفتيا منه، وما رأيت أحداً أحسن تفسيراً للحديث – يعني فهم الحديث – قال عبدالله بن وهب: لا أعلم أحداً أعلم بتفسير القرآن من ابن عيينة رحمه الله. طبعاً هذا أثر العلم المكي على الشافعي رحمه الله. وجدته أيضاً في نص قديم جداً، يعني تقريباً في دخلة الإمام الشافعي رحمه الله إلى بغداد عام ١٨٤هـ، لما دخلها مكرهاً ومتهماً والتقى بهارون الرشيد رحمه الله، وكان هارون من أصحاب العلم، فدارت بينه وبين هارون أسئلة، فقال له هارون: كيف علمك بكتاب الله؟ فقال الشافعي – وهذا نص ثابت عنه –: جمعه الله في صدري، وجعل دفتيه جنبي. قال: كيف علمك به؟ قال: أي علم تريد يا أمير المؤمنين؟ علم تأويله أم تنزيله؟ أم مكية أم مدنية؟ أم ليليه أم نهاره؟ أم سفريه أم حضريه؟ أم نسقه وصفته أم تسمية سوره؟ طبعاً هذا

النص يبين أن الشافعي رحمه الله ما دخل بغداد في الدخلة الأولى والقدمة الأولى إلا وقد تشبع بعلوم القرآن، وهذا الذي ظهر جلياً على كتبه رحمه الله.

من شيوخ الشافعي رحمه الله في مكة: الإمام الفقيه مفتي مكة مسلم بن خالد الزنجي، متوفى عام ١٨٠ هـ، وهذا هو الذي أذن للشافعي رحمه الله أن يفتي وعمره تقريباً خمس عشرة سنة أو ست عشرة سنة، وهو شيخ الحرم كما يقال، وقد تفقه به الشافعي رحمه الله. ومسلم بن خالد الزنجي سنده في العلم عالٍ لأنه أخذ عن عبدالملك بن جريج، وعبدالملك بن جريج أخذ عن عطاء، وعطاء أخذ عن الصحابة.

كذلك من شيوخ الشافعي في القراءات: شيخ الشافعي في القراءات أيها الإخوة هو إسماعيل بن عبدالله بن قسطنطين المكي المقرئ، توفي ١٧٠ هـ. قال الشافعي: قرأت القرآن على إسماعيل، وإسماعيل يقول: قرأت على شبل، وأخبر شبل أنه قرأ على عبدالله بن كثير، وقرأ على مجاهد، وأخبر مجاهد أنهم قرأوا عن ابن عباس. إذاً قراءة الشافعي رحمه الله التي هي موجودة في الرسالة هي قراءة ابن كثير، وقد ذكر الشافعي رحمه الله سنده بالقرآن من إسماعيل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: كان إسماعيل يقول: القرآن اسم ليس مهموزاً، يعني لا يقول «القرآن». ولذلك لو تأملت كلام الشافعي في الرسالة كله لا يهمز كلمة «القرآن».

ومن شيوخه في مكة: سعيد بن سالم القداح، وعبدالمجيد بن عبدالعزيز المكي، وهؤلاء كلهم فقهاء ومحدثون، وتجد رواياتهم موجودة في كتاب الرسالة.

أيضاً من الروافد العلمية أيها الإخوة في الشافعي في بداياته: الرافد اللغوي، والرافد اللغوي هذا داخل في مرحلة التأسيس. يعني الشافعي رحمه الله يقول: خرجت عن مكة فلزمت هذيلاً في البادية أتعلم كلامها وآخذ طباعها، وكانت أفصح العرب. واشتهر الإمام الشافعي بهذا، فكان حجة في اللغة، كان حجة بمعنى أن لغته حجة يُحتج بها لا لها. وهذا ما شهد به أهل الشأن. فثعلب إمام الكوفيين بالنحو يقول: يأخذون على الشافعي وهو من بيت اللغة، والشافعي يجب أن يؤخذ عنه اللغة. يقول إسحاق بن راهويه: ثم تناظرنا في اللغة فوجدته بيت اللغة.

يقول عن الشافعي: وجدته بيت اللغة، وما رأت عيناي مثله قط، إلى آخر كلامه رحمه الله. فهذا لا شك أن هذا العلم باللغة، وصار حجة في اللغة، أثر على أسلوبه بالكتابة واختياراته اللغوية، أثر على فكرة الرسالة. فكرة الرسالة مبنية على أن الشريعة لا تُفهم إلا من خلال اللسان العربي، لذلك تكلم في العموم والخصوص والبيان على سجيته وعلى فطرته اللغوية. وسيأتي لهذا مزيد بحث إن شاء الله.

بعد هذه الرحلة المكية، وهي طويلة اختصرتها في دقائق، نأتي إلى محطة أخرى مهمة، وهي محطة التفقه ومحطة رواية الحديث بالأسانيد العالية، وهي المحطة المدنية أو الرحلة المدنية. غادر الشافعي مكة بعد أن استوفى غرضه منها ورحل إلى المدينة، وكان مالك رحمه الله في المدينة هو شيخ المدينة، وكان مالك وأصحابه يمثلون مدرسة أهل الحجاز في الحديث والتفقه. وبذلك يكون الشافعي رحمه الله أيها الإخوة قد أخذ علم هذه المدرسة وهذا الاتجاه المدني في التفقه وفي التصرف في الأحاديث وفي النظر، أخذه بسند عالٍ جداً.

يقول الشافعي: أتيت مالك بن أنس وأنا ابن ثلاث عشرة سنة، أي في سنة ١٦٣ هـ تقريباً، ومالك رحمه الله توفي في عام ١٧٩ هـ، يعني مكث الشافعي عند الإمام مالك ست عشرة سنة يتلقى عنه الموطأ، ويسمع شرحه ويسمع اختياراته ويسمع كيف يتصرف بالأدلة وكيف ينظر فيها إلى آخره. طبعاً استفاد الشافعي من شيخه مالك علماً عظيماً، وقد كان مالك صاحب رواية ودراية وله منهج متميز في الفقه وفهم الحديث وأصول اختص بها مالك.

في هذه المرحلة تحديداً أيها الإخوة والمرحلة بعدها كان الشافعي رحمه الله تلميذاً لمالك – يُنسب إلى مالك رحمه الله – حتى عده في طبقات المالكية. نجد أن المالكية يترجمون للإمام الشافعي رحمه الله في طبقاتهم، والشافعية يترجمون له، وحتى الحنابلة يترجمون للشافعي رحمه الله في طبقاتهم. فمالك رحمه الله كان مما اختص به عمل أهل المدينة وما اجتمع عليه الناس إلى آخره، فطبعاً استوعب الشافعي رحمه الله هذا كله من علم الإمام مالك رحمه الله. ولم يظهر الإمام الشافعي رحمه الله خلافاً واضحاً إلا بعد الرحلة الثانية إلى بغداد، ظهر أن الشافعي رحمه الله ظهرت له أصول تختلف عن أصول الإمام مالك رحمه الله، وطبعاً ظهر هذا الخلاف جلياً واضحاً لما انتقل

الإمام الشافعي رحمه الله إلى مصر، حتى أن البويطي رحمه الله يقول: لما دخل علينا الشافعي مصر وكان يتكلم في مالك كلاماً علمياً فنفرت منه، ثم سألت الله أن يريني أي الإمامين أحق بالاتباع، فرأيت رؤيا في المنام أن اتبع الشافعي فاتبعته.

في هذه المرحلة المدنية التقى بإمام من أئمة الحنفية وهو محمد بن الحسن من تلاميذ مالك مكث عنده أربع سنوات. والتقى كذلك بإمام محدث كبير من بغداد وهو عبدالرحمن بن مهدي، وعبدالرحمن بن مهدي له قصة وله فضل كبير على العلم وسبب من أسباب تأليف هذه الرسالة.

بعد المرحلة المدنية أيها الإخوة ذهب الشافعي رحمه الله – طبعاً شيوخ الإمام الشافعي يخطئ من يحصر المرحلة المدنية في مالك، لا، المرحلة المدنية فيها تقريباً الذين حصرتهم في المدينة واستفاد منهم الشافعي وروى عنهم، واستخرجت ذلك من كتب التراجم والطبقات والمناقب ثلاثة عشر شيخاً، كل واحد من هؤلاء له قصة وله رواية وله أثر على الإمام الشافعي رحمه الله، ومنهم واحد اسمه عبدالرحمن بن زيد بن أسلم توفي عام ١٨٠ هـ ، وهذا مهم لأنه مما امتاز به عبدالرحمن بن زيد علم القرآن وتفسيره، فكأن علم القرآن قدر للإمام الشافعي رحمه الله.

ثم بعد ذلك رحل الإمام الشافعي لليمن ليتولى عملاً من أعمال الدولة العباسية، وعمره لما رحل إلى اليمن أيها الإخوة كان عمره تسعاً وعشرين سنة، وكانت سيرته في اليمن حسنة وأثره محموداً، ولي قضاء نجران، وتأثر ببعض الفقه الموجود هناك حتى وجدت في كتاب الأم في باب الجزية يقول: سمعت أهل العلم من المسلمين في نجران ومن أهل الذمة من يقول كذا وكذا في نجران، ذكر ذلك. ومن شيوخه في اليمن الذين استطعت أن أرصدهم ثلاثة: هشام بن يوسف الصنعاني هذا قاضي اليمن توفي عام ١٩٧ هـ، وعبدالرزاق، ومطرف الصنعاني إلى آخره.

ثم بعد ذلك رحل الإمام الشافعي مكرهاً إلى بغداد، ولم يكن يعلم أنه يُكره إلى الخير ويُقاد إلى الخير. فبغداد كان فيها العلماء وكانت فيها التيارات وكان فيها بدايات التأليف إلى آخره، فرحل إلى بغداد للرحلة الأولى أيها الإخوة المشايخ كانت في عام ١٨٤ إلى ١٨٩ هـ. في هذه

المرحلة كانت بغداد تعج بالآراء والتيارات والمذاهب، كان فيها فقهاء الكوفة أو الفقه الكوفي، وكان فيه فقه ابن حنيفة وصاحبيه القاضي أبو يوسف والإمام الكبير الفقيه محمد بن الحسن، وكان فيه أهل الحديث أحمد رحمه الله ومن معه: علي بن المديني ويحيى بن معين هؤلاء وعبدالرحمن بن مهدي، وكان أيضاً بداية ظهور المعتزلة.

الشخص الذي تأثر به أو استفاد منه الشافعي رحمه الله وكان هو بداية التأليف عند الشافعي هو محمد بن الحسن، وهذا له قصة طويلة مع الشافعي رحمه الله، ويلتقون في مالك. يقول الشافعي رحمه الله: فاختلفت إليه وقلت: هذا أشبه لي من طريق العلم، وكتبت كتبه وعرفت قولهم، وكان إذا قام ناظرت أصحابه. ويقول الشافعي رحمه الله فيما يرويه ابن أبي حاتم الرازي: أنفقت على كتب محمد بن الحسن ستين ديناراً ثم تدبرتها فوضعت إلى جنب كل مسألة حديثاً. الحديث يطول يا مشايخ عن محمد بن الحسن وعلاقته بالشافعي. لما ألف محمد بن الحسن رحمه الله «الحجة على أهل المدينة»، وهذا كتاب مهم يرد على المالكية ويبين مذهب الحنفية، الشافعي رد عليه، بدأ يؤلف الشافعي ورد على كتاب الحجة، وألف رسالة موجودة في الأم بعنوان «الرد على محمد بن الحسن»، وكان يرد عليه في حياته لأنه أنا وجدت في هذا الكتاب يقول: وقال لي وقلت له. فهنا بدأ الشافعي يرد على محمد بن الحسن ويبين – طبعاً يرد وهو متبنٍ مذهب مالك إلى الآن وهو يتبنى مذهب مالك رحمه الله.

طبعاً شيوخه في بغداد كثر: وكيع بن الجراح وإسماعيل بن علية. ثم عاد الشافعي رحمه الله بعد ذلك إلى مكة المكرمة. بعد ذلك وهذه المرحلة مرحلة البروز، وانتصب للتدريس وأصبح محطة علمية مهمة. لا نريد أن نطيل في هذه الروافد.

بقي معنا فقط أن نذكر أنه بعد أن جلس في مكة إلى عام ١٩٥ عاد إلى بغداد من ١٩٥ إلى ١٩٧ هـ، وعمره لما دخل بغداد في الدخلة أو القدمة الثانية خمس وأربعون سنة. هنا دخلها وهو إمام مجتهد، وألف كتاب الرسالة البغدادية في بغداد وكتبه الأخرى. ومن معالم هذه القدمة ظهور مقالات المعتزلة وظهور الطلاب البغداديين. الشافعي رحمه الله بدأ يكون له مجموعة من الطلاب، منهم الكرابيسي البغدادي – هذا مهم – والحسن الزعفراني – هذا أحد رواة

البغداديين وله قصة مع الكرابيسي ومع الحسن – وكذلك مجموعة من الطلاب. لا نريد أن نطيل.

ظهرت رؤوس المعتزلة بشر المريسي وغيره من رؤوس المعتزلة في ذاك الوقت، وكانت بينهم وبين الشافعي مناظرات، حتى مناظرات الإمام الشافعي مع المعتزلة والحنفية. ولا يخفاكم أن المأمون غفر الله له تأثر بهؤلاء، والشافعي رحمه الله ناقش المعتزلة في أكثر ما ناقش المعتزلة في كتاب جماع العلم، عندما بوب باباً وقال: باب الطائفة التي ردت الأخبار كلها، وتستغرب أنه في ذاك الوقت وفي ذاك القرن المتقدم أن هناك طائفة يناقشها الشافعي ويسميها: باب الطائفة التي ردت الأخبار كلها. وناقش الشافعي إسماعيل بن علية وكان يكلمه في خبر الواحد إلى آخره.

ثم ترك الشافعي بغداد عام ١٩٧ هـ وعاد إلى مكة في أواخر سنة ١٩٧ هـ، ثم ما لبث إلا أن عاد إلى بغداد العودة الأخيرة وهي وداع عن بغداد، يعني ١٩٨ عاد وقد تغيرت بغداد عن ذي قبل، وبدأ ينتشر الفكر الاعتزالي وخلق القرآن وما إلى ذلك، وقد ألف الشافعي كتابه الرسالة ووجد هناك من يرد عليه من الحنفية كما سيأتي ومن غيرهم.

ثم بعد ذلك ساقه الله سبحانه وتعالى إلى مصر. الشافعي خرج من بغداد إلى مكة ومنها إلى مصر. يقول حرملة: قدم علينا الشافعي سنة ١٩٩ ومات سنة ٢٠٤ هـ عندنا بمصر. ولماذا اختار الشافعي أن يستقر في مصر؟ أولاً: كان يبحث عن الهدوء والاستقرار، أيضاً يبحث عن جيل جديد من الطلاب الأقوياء النابهين الذين يحملون علمه وقد حصل له ذلك، ويتعرف على فقه أهل مصر وعلى فقه فقيههم الإمام العلم الليث بن سعد. ويورد الحافظ ابن كثير روايات تشير إلى أنه سافر عن طريق بيت المقدس، إلا أن هذا يعني ما ثبت.

يقول الشافعي رحمه الله:

لقد أصبحت نفسي تتوق إلى مصر ومن دونها أرض المهامه والقفر

فوالله ما أدري أللمال والغنى أُساق إليها أم أُساق إلى قبري

قلت: فسيق إليهما جميعاً، قدس الله سره وأكرم مثواه. دخل الشافعي مصر، وكانت مصر في ذلك الوقت تميل إلى قول أبي حنيفة وإلى قول مالك. يقول الربيع رحمه الله: قال لي الشافعي يوماً: كيف تركت أهل مصر؟ فقلت: تركتهم على ضربين: فرقة منهم مالت إلى مالك وأخذت عنه، وفرقة منهم مالت إلى قول أبي حنيفة فأخذت عنه وناضلت عنه. فقال: أرجو أن أقدم مصر إن شاء الله وآتيهم بشيء أشغلهم به عن القولين جميعاً. قال الربيع: ففعل ذلك والله حين دخل إلى مصر.

عموماً في مصر تعرف على مذهب مالك، بدأ يرد على عمله في المدينة، ألف رسالته، أعاد كتابة رسالته البغدادية التي يعني فُقدت أو لم تعد موجودة إلا في كتب العلماء، وألف كتابه التي هي الرسالة المصرية التي كان الإمام أحمد رحمه الله يوصي بها ويوصي بقراءتها، وكان الإمام أحمد رحمه الله يوصي بقراءة وشراء كتب الشافعي التي ألفها في مصر، لأنه يقول: وقد ألفها في مصر وقد أحكمها.

أبرز طلابه في مصر: أبو يعقوب البويطي الإمام الفقيه المحتسب الصابر. والعجيب سبحان الله أن طلاب الشافعي في مصر عمروا، يعني المزني رحمه الله توفي بعد الشافعي، والربيع راوي الرسالة وغيرها توفي ٢٧٠ هـ، يعني بعد الشافعي يمكن ستين سنة وهو يروي كتب الشافعي، وهذا لا شك أنه يؤثر على استقرار المذهب ويؤثر على انتشار هذه الكتب. طبعاً في سؤال: هل لتأليفه كتبه بمصر أثر على فقهه واختياراته الجديدة؟ الجواب لا طبعاً، والسبب يطول.

ننتقل الآن إلى مضامين الرسالة أيها الإخوة. طبعاً الإجماع انعقد على أنها أول مدونة في أصول الفقه، وأنا أقول أنها أول مدونة في أصول الفقه وأول مدونة في أصول الحديث، ويخالف في ذلك فقط بعض الشيعة ويزعمون أن أبا جعفر الصادق متوفى ١١٤ هـ هو صاحب السبق، وبعض الحنفية يزعمون أنه محمد بن الحسن، والكلام في هذا يطول.

طبعاً هذا الكتاب أيها الإخوة والرسالة أحدث نقلة عظيمة، وأُلف على غير مثال سابق. الرسالة أيها الإخوة باختصار شديد نقلت العلم من المشافهة إلى التدوين، ومن الحديث في

الجزئيات إلى الكليات. وكما يقول الفخر الرازي: ولم يكن لهم قانون كلي يرجعون إليه في معرفة دلائل التشريع وفي كيفيتها وفي ترتيبها وفي ترجيحاتها حتى كتب الإمام الشافعي الرسالة. هذا التدوين أيها الإخوة يحتاج إلى ماذا؟ يحتاج إلى فكرة وتأسيس وترتيب وتقسيم، وهذا كله فعله الإمام الشافعي في الرسالة.

الرسالة أيها الإخوة أحدثت تغيراً كبيراً في التعامل مع الأدلة وتراتيب الأدلة وترتيب الأدلة بناء على معايير صحيحة واضحة. الرسالة خففت أو ناقشت حضور وأثر العمل المكاني على الفقه، يعني كانوا أحياناً يردون دلالات بعض الأحاديث من أجل عمل المدينة، وفي الكوفة كان العمل أيضاً له حضور كبير. الشافعي رحمه الله قرر في الرسالة بشكل واضح أن السنن لا تُعارض بالعمل مهما كان، وقال في الرسالة: ولو لم يمضِ عليه عمل، يعني يقبل حديث الآحاد ولو لم يمضِ عليه عمل الناس.

الرسالة تجيب عن أسئلة منها: ما هي أدلة الاستدلال والاحتجاج؟ ما الذي يصح أن يكون دليلاً؟ وبالتالي رد الاستحسان، لأنه ما صح عنده دليلاً، لا لأنه اتباع للهوى – معاذ الله أن يُتهم أبا حنيفة بهذا. ما شكل وطبيعة العلاقة بين القرآن والسنة؟ هذه مهمة جداً، طبيعة العلاقة بين القرآن والسنة، وفي هذا رد على المعتزلة الذين لا يرون إلا القرآن وأن السنة لا تثبت إلا بالإجماع إلى آخره، ما ذكره في جماع العلم وفي الرسالة. هل يجوز الاحتجاج بالأخبار في تفاصيل الشريعة يعني في العقائد وفي الفقه؟ أم أن أخبار الآحاد يُستدل بها في شيء ويُترك شيء؟ ونلاحظ أن هذه الأسئلة أيها الإخوة هي حراك أو نتيجة الحراك الذي كان موجوداً. ما هي المنهجية العلمية الصحيحة في فهم النصوص وتفسيرها؟ وهذا هو الذي شغب على الحداثيين العرب الذين رأوا أن الشافعي رحمه الله ضبط عملية الاجتهاد وهم لا يريدون أي ضابط في الشريعة.

سبب تأليف الرسالة طبعاً السبب المعروف والظاهر أن الإمام عبدالرحمن بن مهدي رحمه الله – يعني هذا الرجل ناصح وفقيه ومجتهد ومحدث – لما ذهب إلى مالك وأخذ علمه ورأى الشافعي هناك ثم رجع إلى بغداد وجد التيارات والأفكار ووجد أن أهل الحديث منعزلون في

الحديث والرواية وأن المتصدرين للفتوى والدراية هم الحنفية رحمهم الله، وأصحاب أبي حنيفة هم علماء كبار حتى كان أكثر الحديث يتمذهب فقهاً على مذهب أبي حنيفة، فكأنه أحس بضرورة وجود كتاب يرسم المنهج ويبين أشياء كثيرة، فكتب إلى الشافعي رحمه الله. عبدالرحمن بن مهدي لما كتب للشافعي رسالته كان معمر توفي عام ١٨٩ هـ، ما وجد إلا هذا الشاب إلا الشافعي وجده أهلاً لأن يكتب له الرسالة، وكتب له أن يضع له كتاباً فيه معاني القرآن — شوف خطة البحث أيها الإخوة هذه خطة بحث — معاني القرآن ويجمع قبول الأخبار وحجة الإجماع وبيان الناسخ والمنسوخ من القرآن والسنة. عندما نحلل هذا النص نجد أن هذه القضايا قضايا علمية وُجدت ويُحتاج إلى الحديث عنها ويُحتاج إلى الكتابة فيها، نقل الناس من الجزئيات إلى الكليات.

طبعاً الذي كان يحرض الشافعي رحمه الله ويحثه على إجابة عبدالرحمن بن مهدي محدث آخر وهو يحيى بن معين، فكان دائماً يقول له: أجب عبدالرحمن، أجب عبدالرحمن. فلما ألف الشافعي كتابه الرسالة أيها الإخوة وقرأها عبدالرحمن بن مهدي قال: رأيت كلام رجل ناصح فصيح، غفر الله لأبي عبدالله، لو كان أقل لنفهم — يعني لو كتب بأسلوب أقل حتى نفهم سريعاً عنه. وهذه هي الرسالة البغدادية التي أُلفت، يعني أنا أرجح أنها أُلفت عام ١٩٥ هـ، والمصرية أُلفت عام ١٩٩ أو ٢٠٠ هـ.

يقول في سير أعلام النبلاء في نص مهم يبين وجود النسختين عند الإمام أحمد في إرث الإمام أحمد، يقول ثوران من تلاميذ أحمد: قسمت كتب الإمام أبي عبدالله الشافعي بين ولديه فوجدت فيها رسالتي الشافعي العراقية والمصرية بخط الإمام أحمد رحمه الله. هذه ذكرها الشافعي وذكر ابن أبي حاتم الرازي في مناقب الشافعي.

طبعاً هذا الكتاب أيها الإخوة له شروحات لا يخفاكم وكلها مفقودة مع الأسف الشديد وهي لكبار الشافعية، يعني بعد قرن تقريباً الصيرفي ٣٣٠ هـ وهذا يدل على وزن الرسالة وقيمتها، والنيسابوري والقفال الشاشي الكبير ووالد إمام الحرمين. هذه الشروحات أيها الإخوة رحمه الله إمام الزركشي في البحر المحيط، لولا الإمام الزركشي في البحر المحيط ما علمنا يعني أشياء كثيرة

عن هذه الشروحات. البحر المحيط هو ديوان يوجد فيه كثير من هذه الشروحات ينقلها بالنص، وكأن شروحات الرسالة كانت موجودة عند الإمام الزركشي في عصره بين يديه ثم بعد ذلك اختفت لأمر أراده الله، وإن شاء الله تظهر يوماً ما.

طبعاً هناك مؤلفات في الرد على الرسالة وهذا يدل على وزن الرسالة، طبعاً من الذين ردوا على الرسالة عيسى بن أبان، وهذا رجل مهم في الفكر الأصولي الحنفي، عيسى بن أبان القاضي تعود إليه أصول الحنفية في الحديث، هذا رد على الشافعي، وكذلك شخص اسمه النوبختي هذا من غلاة الشيعة رد على الشافعي، وغيرهما رد على الشافعي. لا أريد أن أطيل كثيراً.

إلا أن الشافعي رحمه الله كما قلت لكم أعاد تصنيف الرسالة في مصر. مضامين هذه الرسالة: أولاً: المقدمة، المقدمة النفيسة، كتب مقدمة نفيسة عظيمة من الصفحة ٧ إلى صفحة ٢٠، بين فيه أحوال الناس والأمم قبل البعثة، وبين فضل النبي صلى الله عليه وسلم على الخلق وقال: الذي أنقذهم به من الهلكة. هذه مقدمة بلاغية بلغت الغاية في البلاغة، وركز فيها على ضرورة العلم بالقرآن من البداية – شوف الأثر القرآني – وجعله معياراً يُعرف به العالم بالشريعة من الجاهل بها. المعيار إيش؟ علم القرآن. فقال الشافعي رحمه الله في مقدمة الرسالة: فكل ما أنزل في كتابه جل ثناؤه رحمة وحجة، علمه من علمه – يعني من علمه فصار عالماً – وجهله من جهله، لا يعلم من جهله – يعني لا يكون عالماً من جهل القرآن – ولا يجهل من علمه. ثم قال: والناس في العلم طبقات، موقعهم من العلم بقدر درجاتهم في العلم به – يعني في القرآن – هذا في مقدمة. ثم ختم هذه المقدمة النفيسة ببيان وقاعدة ومنهج يدل على شمول الشريعة وصلاحيتها لكل زمان ومكان. قال قولته المشهورة: فليست تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة إلا وفي كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها. ثم أعتقد يا مشايخ أن الرسالة شرح لهذا النص العظيم لأنه بدأ بعد ذلك بكيفية البيان.

من موضوعات الرسالة بعد هذه المقدمة: أولاً تسمية الأدلة، كما قال الإمام أحمد: تسمية الأدلة. ما كانوا يسمون الأدلة ولا كانوا يرتبونها وتحديدها صراحة. يقول الشافعي رحمه الله في الرسالة وهذا كثير في الرسالة: ولم يجعل الله لأحد بعد رسول الله أن يقول إلا من جهة علم

مضى قبله. وجهة العلم ما هي يا شافعي؟ قال: وجهة العلم بعدُ: الكتاب والسنة – تسمية الأدلة – والإجماع والآثار وما وصفت من القياس عليها.

قيل للإمام أحمد – أكثر يا مشايخ من تكلم وأثنى على الإمام الشافعي إمام كبير مثله يعرف قدر العلماء ويعرف أثر الشافعي في العلم – لذلك لما ذهب إلى مكة وكان الشافعي يدرس وهو شاب صغير، وهو ذهب إلى مكة أصلاً لكي يبحث عن السند العالي في الحديث، ترك مجالس كبار المحدثين وذهب إلى ذلك الشاب القرشي. فلما لامه يحيى بن معين والمجموعة التي كانت معه قال: إن فاتكم عقل هذا القرشي يفوتكم خير كثير، الحديث الذي لا نجده بعلو نجده بنزول، ولكن إن فاتكم عقل هذا القرشي فقد فاتكم خير كثير. هذا من يقوله؟ يقول سيد المحدثين بعصره الإمام أحمد. ماذا يقول أحمد؟ يقول: ما أقول في رجل ابتدأ في أفواه الناس: الكتاب، السنة، الاتفاق، الآثار، القياس. هذا كلام الإمام أحمد رحمه الله.

الموضوع الثاني باختصار شديد – طبعاً هذا كله باختصار شديد جداً – البيان: أول كلمة في الرسالة بعد المقدمة. كيف البيان؟ بيان ماذا؟ بيان شكل العلاقة وطبيعتها بين الكتاب والسنة وأنها علاقة تكامل وبناء وتفسير، لا علاقة تضاد ولا اختلاف. وهو في هذا يرد على أهل الأهواء والبدع في وقته الذين صوروا أن السنة شيء والقرآن شيء آخر.

طيب أيضاً هناك مبحث لطيف وهو العلاقة بين الشافعي والجاحظ في قضية البيان، وهل تأثر الجاحظ بكلام الشافعي؟ أنا بعد التأمل وجدت أن الجاحظ ذكر الشافعي مرتين في كتبه، وتعريف الشافعي للبيان هو نفسه تعريف الجاحظ للبيان تقريباً. إذاً كانت قضية البيان أيها الإخوة قضية حاضرة في أذهان العلماء في ذاك الوقت.

القضية الأخرى التي بعد البيان وذكر خمسة أنواع من البيان: بيان القرآن للقرآن، بيان السنة للسنة، تفاصيل يعني مدهشة وعظيمة جداً. ثم تكلم في قواعد العموم والخصوص وهذا كله داخل في البيان. ثم تكلم عن مبحث عظيم وفريد وأسس الرسالة عليه، وهو تعظيم أمر اللسان العربي وأثره في فهم الشريعة. يقول: ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان إلا نبي، لا يعلم من

إيضاح جمل علم الكتاب أحد جهل لسان العرب، سعة لسان العرب وكثرة وجوهه وجماع معانيه. ومن علمه – يعني من علم لسان العرب – انتفت عنه الشبه التي دخلت على من جهل لسانها. إذن من أسباب الشبه التي دخلت على معتزلة وغيرهم هو الجهل باللسان العربي في تفسير القرآن وفي معرفة معاني الكلمات إلى آخره. هذا مبحث طويل في الرسالة وأطال فيه النفس وتكلم عن عربية القرآن.

بعد ذلك تكلم عن النسخ، وعرف النسخ وذكر أقسام النسخ، وله في النسخ مذهب حيّر الشافعية من بعده، لا أريد أن أطيل فيه وكان محل إشكال عند كبار الشافعية.

ثم بعد ذلك تكلم عن قضية خطيرة وهي نتاج للفكر الموجود في عصره، في ستين صفحة في الرسالة من صفحة ٤٠١ إلى صفحة ٤٦١ تكلم عن تثبيت خبر الواحد والذب عن سنة النبي صلى الله عليه وسلم. طيب لماذا وأنت في قرن متقدم يا شافعي والمحدثون متوفرون ومتوافرون والرواية شغالة في كل مكان؟ لماذا؟ لأنه وجد أن المعتزلة بدأوا يشككون في الأخبار وقد ناظرهم. لذلك شوف أنا أريد أن أقرأ فقط نصاً واحداً.

يقول سريج النقال – هذا سريج النقال أيها الإخوة سُمي النقال لأنه هو الذي نقل الرسالة من الشافعي إلى عبدالرحمن بن مهدي – يقول: دخلت على الشافعي يوماً وعنده أحمد بن حنبل والحسن والحسين القلاس – وكان الحسين أحد تلاميذ الشافعي – وعنده جماعة من أهل الحديث عند الشافعي والبيت غاص بالناس، وبين يديه أحد المعتزلة. الشافعي انصرف عن المحدثين وجالس مع هذا المعتزلي إبراهيم بن إسماعيل بن علية وهو يكلمه في خبر الواحد. لاحظ في القضية. قال فقلت للشافعي: يا أبا عبدالله عندك وجوه الناس وقد أقبلت على هذا المبتدع تكلمه وتناظره. فقال لي وهو يبتسم – وانظر إلى فقه الإمام وبصيرته –: كلامي لهذا بحضرتهم – بحضرة المحدثين وهم يسمعون طريقة النقاش والحوار – أنفع من كلامي لهم. فقالوا: صدق، يعني حنا مستمتعين ومستفيدين من هذه المناظرة، حنا الأخبار عندنا لكن نريد كيف نذب عن هذه الأخبار. قال فأقبل عليه الشافعي يقول: ألست تزعم أن الحجة الإجماع؟ قال: نعم. فقال له الشافعي: أخبرني عن الخبر الواحد وكذا إلى آخره. فهذا يدل على أن الشافعي كان

يناقش قضية خطيرة وذكرها في الرسالة وذكرها في جماع العلم وناظر بشر المريسي، وبعد أن ناظره قال: لا يفلح لأنه يعرف الحق ويصد عنه.

طبعاً تفنن الشافعي أيها المشايخ أيها الإخوة – لا يخفاكم – في الأدلة التي ثبت بها خبر الآحاد وقد جمعتها أو حصرتها في ثمانية أنواع، قلت تحت كل نوع يعني كثرة وافرة من الأحاديث ومن الدليل النقلي والدليل العقلي.

بعد ذلك أيها الإخوة بعد تثبيت خبر الآحاد تكلم الشافعي عن قضية خطيرة وهي تأسيس منهجية الاجتهاد وضبط معالمه، وقد ذكر ذلك في البيان الخامس من أنواع البيان وهو في الاجتهاد، ثم فصل ذلك بعد ذلك في الرسالة وتكلم عن الاجتهاد. وبالمناسبة الشافعي رحمه الله حصر الاجتهاد في القياس. وقبل ذلك أيها الإخوة وقبل الحديث في القياس والاجتهاد عقد الشافعي مبحثاً مهماً وهو أول من تكلم في هذا الفن ككتابة، وهو كتاب مختلف الحديث في الرسالة، غير كتابه اختلاف الحديث. اختلاف الحديث هذا ألفه بعد الرسالة لأنه كان يشير في اختلاف الحديث إلى كتاب الرسالة. وبالمناسبة أيضاً الشافعي لم يُسمِّ كتاب الرسالة كتاب الرسالة وإنما كان يسميها الكتاب، وعندما ألفها في مصر يقول: غابت عني بعض كتبي إلى آخره. فألف باب مختلف الحديث، وأنا لي كتاب بعنوان «قواعد مختلف الحديث عند الشافعي في الرسالة» مطبوع، وكتاب «القياس عند الإمام الشافعي» أيضاً مطبوع في مجلدين.

الاجتهاد والقياس هذه قضية عند الشافعي سبحان الله خطيرة، حصر الاجتهاد في القياس لماذا؟ لأن معيار الأدلة عنده صحيح أن الدليل إن لم يصح اتصاله بالوحي واتصاله بالكتاب والسنة فليس دليلاً، وأن الاجتهاد لا بد أن يكون فيه بناء على أصل. يتلخص منهج الاجتهاد باجتهاده في ضبط الاجتهاد ورسم المنهج الصحيح الذي لا يخرج عن دائرة الوحي ولا يصادم النصوص. والاجتهاد عنده هو القياس، فهما اسمان لمعنى واحد. وهذا كان محل إشكال عند الشافعية فيما بعد، وقد ناقشته في كتابي.

ويقدر الشافعي مكانة القياس وخطورته ويقرر أنه مفزع الذي يأوي إليه المجتهد إذا لم يجد نصاً. قال: إذا ما ورد في الكتاب والسنة قال طلب الدلالة على سبيل الحق فيه بالاجتهاد، والاجتهاد القياس. وقال في تعريف القياس: القياس ما طلب بالدلائل على موافقة الخبر – يعني لا بد من أصل – المتقدم من الكتاب والسنة. ومن خلال نصوص الشافعي في الرسالة أيها الإخوة وهو يبين مفهومه نلمس جانباً مهماً يركز عليه الشافعي، وهو البناء على الأصل الشرعي في مسائل الاجتهاد، وأنه لا يصح القياس الذي هو طريق إلا بالرجوع إلى أصل شرعي. لذلك رد الاستحسان. إذا أردت أن تفهم أو إذا أردنا أن نفهم لماذا أبطل الشافعي الاستحسان لا بد أن نفهم حديث وتفاصيل كلام الشافعي في القياس وأنه لا بد فيه من البناء على أصل. لما جاء عند الاستحسان وجد بناء على غير أصل أو بناء على غير أصل ظاهر. ولا يُنكر يعني نتائج الاستحسان عند الحنفية كفروع فقهية، لكن لأنهم لا يعبرون أحياناً عن أصلهم ويخالفون الأقيسة الظاهرة، هذا يعني إما أنه قاله سداً للذريعة واحتياطاً للدين.

أنا ذكرت في كتابي «رحلتي مع الإمام الشافعي» ناقشت هذه المسألة، وجدت ودخلت في تفاصيل كلام الإمام الشافعي في كتابه إبطال الاستحسان، فوجدت أنه يقول للحنفية: أنتم أصحاب عقول كما تقولون وأدرى بالأقيسة كما تقولون وعقل المعاني كما تقولون، لكن ما الذي يجعلنا أن نسلم لأقوام آخرين يقولون: نحن أصحاب عقول ونعقل المعاني إذاً نستحسن؟ فكأنه أراد أن يرد ويذب عن الشريعة. يقول: ولو جاز تعطيل القياس جاز لأهل العقول من غير أهل العلم – يعني زي الآن المفكرين والحداثيين يقولون: نحن أهل عقول – الشافعي تنبأ لهذه القضية الخطيرة في وقت مبكر. إذا أردنا أن نفهم الاستحسان ورده لا بد أن نفهم هذه التفاصيل التي ذكرها الشافعي. يقول: لو جاز تعطيل القياس جاز لأهل العقول من غير أهل العلم أن يقولوا فيما ليس فيه خبر بما يحضرهم من الاستحسان. استحسان سهل، يقول: استحسن كذا. طبعاً هذا استحسان أبي حنيفة وصاحبيه مقبول منهم لماذا؟ لأنهم أئمة كبار سبروا أغوار الشريعة ولهم ملكة في فهم الأدلة وفي الترجيح بين الأقيسة إلى آخره.

يقول الشافعي رحمه الله: ولم يجعل الله لأحد بعد رسول الله أن يقول إلا من جهة علم مضى قبله، وجهة العلم بعدُ: الكتاب والسنة والإجماع والآثار وما وصفت من القياس عليهما. الشافعي رحمه الله أيها الإخوة فصل في أنواع الأقيسة، وأنواع الأقيسة عند الشافعي وجدتها في الأم يعني تقريباً ذكر أنواعاً كثيرة: قياس الأولى وقياس إلغاء الفارق وقياس العكس وقياس الأشباه وغلبة الأشباه، هذه كلها موجودة في الرسالة. يعني الشافعي رحمه الله لما تقرأ كتابه الرسالة تجد عمله في القياس عمل كثير جداً ودقيق.

هذه أصحاب الفضيلة أيها الإخوة المشايخ هي أهم المباحث والمضامين التي يمكن أن نطلع عليها في كتاب الرسالة، وهو كتاب مهم. مما يُشاع عند بعض الباحثين المعاصرين وبعض المستشرقين أن الرسالة اختفت واختفى ذكرها وأثرها بعد الإمام الشافعي حتى جاء الباقلاني وجاء القاضي عبدالجبار فبدأوا في كتابة أصول الفقه من جديد. وهذا يذكره وائل حلاق المسيحي العربي المستشرق المعروف، إلا أن هذا الكلام غير صحيح وغير دقيق، يعني هناك أعمال لكنها مفقودة كُتبت في الرد على الشافعي وكُتبت في الثناء على رسالة الشافعي، وهناك جمل من الرسالة عند أبي عبيد القاسم بن سلام، لذلك أحد تلاميذ الشافعي المصريين هو عبدالله بن الحكم كان يشنع على أبي عبيد ويقول: هذا يأخذ علم الشافعي ولا ينسبه إليه. وُجد كلام من جمل الشافعي عند إسحاق بن راهويه هذه القواعد والكليات، ثم عند مقدم الشافعية أبو بكر الصيرفي، حتى أنهم ذكروا عن صاحب الحيدة الكناني الذي انتهت عنده فتنة خلق القرآن في المناظرة، لما تقرأ هذا الكتاب وهو رسالة صغيرة تجد أن جمل كلام الشافعي موجودة في هذا الكتاب، استعان في مناظرة المعتزلة والرد عليهم بكلام من جمل كلام الإمام الشافعي رحمه الله.

ولا شك أن الكتاب مهم، لكن السؤال يأتي عن حضور هذا الكتاب في المصنفات الأصولية. أكثر من يذكر هذا الكتاب في المصنفات ويعتني برأي الإمام الشافعي ويعتني بكتاب الرسالة هو الإمام الزركشي رحمه الله، وأيضاً الرسالة البغدادية سبحان الله أكثر من يذكر هذه الرسالة البغدادية وينقل نصوصاً عنها وجدت علمين: العلم الأول حنبلي وهو ابن القيم رحمه الله، ابن

القيم رحمه الله كأن الرسالة البغدادية كانت بين يديه وكان ينقل منها في إعلام الموقعين كثيراً عندما يحلل رأي الشافعي، وكأنه يقول إن رأي الشافعي في الأصول أيضاً مثله في الفقه قديم وجديد، يعني رسالة بغدادية والرسالة المصرية.

نختم أيها الإخوة العنصر الأخير اللي هو أثر الرسالة عند كلام الحداثيين. طبعاً كتاب الرسالة الشافعي رحمه الله أيها كان له حضور في الكتابات الاستشراقية القديمة، يعني قدروا هذا الكتاب. فهذا جولدسير وهو مفكر يهودي مجري توفي عام ١٩٢١ للميلاد يقول: هذا العمل هو مبتدأ العلوم الشرعية الإسلامية، وهو له طبعاً جهود في موسوعة العلوم المطبوعة. وشاخت الألماني المفكر المعروف الذي توفي عام ١٩٦٩ في كتابه أصول الفقه المحمدي يقول: ولقب بعضهم الشافعي – يقول شاخت هذا – بالمعمار الرئيسي لأصول الفقه. ونويل كولسون وهو أيضاً أحد المستشرقين المعروفين صاحب كتابات كثيرة في أصول التشريع يتكلم ويقول في كتابه تاريخ التشريع الإسلامي يتكلم عن الرسالة ويثنون على الرسالة الحقيقة يثنون عليها من باب ذكرها يعني في سياقها الصحيح، لا يثنون عليها من باب المضامين – هذا شيء آخر – لكن يثنون عليها في أنها رسالة تحمل فكراً وأنها مبتدأ العلوم الشرعية وأنه اشتغل فيها واجتهد فيها إلى آخره.

طبعاً وائل حلاق في كتبه الكثيرة يتبنى فرضيتين غريبتين: هذه الفرضية الأولى يقول إن كتاب الرسالة ليس أول كتاب في أصول الفقه، وأنه ليس كتاباً في أصول الفقه إنما هو شذرات، لأنه وضع معايير خمسة من عنده لا يصح أن نسمي الكتاب أصول فقه إلا إذا وُجدت هذه المعايير، يقول هذه المعايير ما وُجدت إلا في القرن الخامس والسادس وما بعد ذلك. وأيضاً يتبنى فرضية أن الرسالة ما كان لها أثر بعد الشافعي. طبعاً رد عليه كثير، منهم واحد اسمه الشمسي، الشمسي له كتاب مهم وهو كتاب «قانون الفقه الإسلامي نظرية الشافعي بسياقه الفكري والاجتماعي»، هذا كتاب مترجم لكنه أودعه نصوصاً عظيمة جداً ودقيقة تتعلق بالرسالة وتتعلق عن سياقها الفكري والتاريخي.

نأتي عند الحداثيين العرب وما أدراك ما الحداثيين العرب، نجد كلاماً غريباً يعني كلهم يرمون الشافعي عن قوس واحدة، وتسلطوا على الشافعي ويرونه عدواً لهم، وهذا ضمن منهجهم في نقد العلماء الكبار المؤسسين، يعني ينقدون الشافعي كثيراً، ينقدون البخاري كثيراً، ينقدون شيخ الإسلام ابن تيمية كثيراً، فينقدون الشاطبي كذلك كثيراً لأنه لا يعجبهم في بعض الأمور.

فمن هؤلاء مثلاً أركون المفكر الجزائري الفرنسي في كتابه تاريخية الفكر العربي الإسلامي ماذا يقول؟ يقول: لقد ساهم الشافعي في سجن العقل المسلم داخل أسوار منهجية معينة سوف تمارس دورها على هيئة استراتيجية لإلغاء التاريخية – التاريخية التي تبناها الحداثيون لأن القرآن تاريخي والسنة تاريخية وأنه لا داعي للنصوص – الشافعي هو عدوهم في هذا لأن الشافعي ضبط النصوص وضبط فهم النص وأدخل السنة في التشريع. ويقول أركون عن الرسالة تحديداً: ليست إلا الحيلة الكبيرة التي أشاعت ذلك الوهم الكبير. ما هو هذا الوهم الكبير؟ أن الشريعة ذات أصل إلهي. هم يقولون بعضهم – يعني اللي يخفف منهم – يقول إن الشافعي رحمه الله نقل الناس من العمل وعمل الناس العمل المكاني إلى الأدلة ومعايير الأدلة إلى الكتاب والسنة والإجماع وضبط هذه وأن السنن والأخبار لا يردها عمل الناس ولا ترد أفكار معينة ولا يستلزم فيها الإجماع إلى آخره.

شحرور يقول – الهالك –: بسبب الشافعي انبذرت بذور عقلية التحريم في العقل الإسلامي. لماذا؟ لأنه أسس علم أصول الفقه الذي يبين فيه من خلال قواعده الحلال والحرام، وهم لا يريدون نصوصاً تبين قواعد تضبط عملية الحلال والحرام. نصر حامد أبو زيد وقد ناقشته في كتابي القياس عند الشافعي كثيراً، هذا له كتاب كبير خاص بالشافعي المصري هذا كتابه اسمه «الإمام الشافعي وتأسيس الأيديولوجية الوسطية». يقول نصر بكلام طويل وكثير: حاول الشافعي استخدام التفكير العقلي ليبرر إلغاء العقل المسلم. كيف يستخدم التفكير في إلغاء العقل؟ يعني ما أدري تناقض، وحبسه داخل دائرة النصوص. وهذا يدل أيها الإخوة الأفاضل – لا يخفى على شريف علمكم – أن الشافعي رحمه الله كان مؤثراً وأن كتابه كان كذلك.

وأدونيس بالمناسبة في كتابه الثابت والمتحول ثلاثة مجلدات يعني قرأ الرسالة كلها يمكن أكثر من مرة وأخذ يرد عليها في كل فقرة تقريباً، ولماذا آثر أن يجعل حيزاً كبيراً من رسالة الدكتوراه في الشافعي؟ لعلمه أنه إذا ضرب الشافعي رحمه الله ومنهج الشافعي والرسالة وضرب صحيح البخاري أنه قد ضرب المسلمون في مقتل، ولكن يأبى الله سبحانه وتعالى إلا أن يهيئ هؤلاء ويسخرهم بين سنة وأخرى وبين عام وآخر حتى يبرز كلام الشافعي رحمه الله من جديد ويبرز كلام الإمام البخاري من جديد.

وقد التزمت بالساعة وها أنا ذا أقف عندها، والكلام طويل، ولا يخفى أكثر ما قلته على شريف علمكم. نسأل الله تعالى أن يرحم الإمام محمد بن إدريس الشافعي وإخوانه العلماء في كل عصر، وأن يجزيه عن الأدلة وعن الاجتهاد وعن تثبيت الأخبار والحجج خير الجزاء. والله أعلم، وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد.

مدير اللقاء سعد بن عبدالله الزعاقي:

كتب الله أجر شيخنا وجزاه عنا خير الجزاء وأوفاه، وأسأل الله عز وجل أن يجعل ما قدم في ميزان حسناته وأن ينزل له الأجر والمثوبة، وأترك المشايخ للمداخلات. أسأل الله عز وجل أن يجزيهم عنا خير الجزاء. الأستاذ الدكتور محمد الجيزاني يبدأ مشكوراً مأجوراً

المداخلة الأولى

فضيلة الأستاذ الدكتور محمد بن حسين الجيزاني

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. الشكر موصول للجمعية المباركة الجمعية الفقهية السعودية ولفضيلة الأستاذ الدكتور أخي الكريم الشيخ فهد الجهني. الكلام عن الإمام الشافعي في الحقيقة كلام ماتع ونافع، وما نزال نحن في هذا العصر بحاجة إلى تقرير هذه الأطروحات المتميزة.

أنا أريد أن أنبه على بعض الأمور وإن كنت قد استوحيت كثيراً منها من كلام الدكتور فهد، والدكتور فهد في الحقيقة متخصص في الإمام الشافعي منذ عشرين سنة منذ أن كتب رسالته عن القياس عند الإمام الشافعي. هناك سر الله أعلم به، هذا السر سبب القبول والانتشار للإمام الشافعي وللأئمة الأربعة، هؤلاء أئمة الفقه. فسبحان الله العظيم هناك قاعدة ذكرها الإمام ابن القيم، وهو أن يُستدل بقدره سبحانه وتعالى على شرعه، يعني نستدل بالأمور القدرية على بعض الأحكام الشرعية، ويضرب لذلك بالخلفاء الراشدين الأربعة رضي الله عنهم: أبو بكر وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب، فهم قدر الله أن يكونوا على هذا الترتيب وأن يكونوا خلفاء لهذه الأمة يخلفون الرسول صلى الله عليه وسلم في أمته، فكان هذا مأخذاً في فضلهم وترتيبهم في الفضل على هذا النحو.

وأيضاً نجد أن الدنيا أذعنت وأهل العلم أذعنوا لهؤلاء الأئمة الأربعة أئمة الفقه: أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل، هؤلاء الأربعة كتب الله لهم القبول ولمذاهبهم الانتشار والشيوع منذ ألف سنة أو أكثر، يعني تقريباً منذ نقول منذ بداية القرن الرابع، تاريخ إغلاق باب الاجتهاد، والعلماء تواطؤوا بالذات على الإذعان لهذه المذاهب الأربعة وعدم الخروج عليها. حينما أعلن ذلك ابن الصلاح وقبله إمام الحرمين الجويني. على كل حال، هؤلاء الأئمة الأربعة يعني إذا تأملنا وتدبرنا سيرتهم وجدنا أن الإمام الشافعي هو أوسطهم وهو الرابط بينهم، هو تلميذ من تلاميذ الإمام مالك قرأ عليه ولازمه، وأيضاً لازم محمد بن الحسن صاحب الإمام

أبي حنيفة، والإمام أحمد بن حنبل تتلمذ على الإمام الشافعي وصحبه فترة ومدة من الزمان. سبحان الله نجد أن هذا الأمر اختص به الإمام الشافعي. ثم هيأ الله الإمام الشافعي ما لم يتهيأ لغيره حينما جمع الله له بين فقه أهل المدينة فقه الحجاز الذي يعتمد على الرواية وفقه أهل الرأي فقه أهل العراق الذي يعتمد على الرأي وعلى الاجتهاد والنظر، وهذا من الأمور التي تفطن لها الإمام الشافعي وهيأه الله لها حينما جمع بين أمرين كان الجمع بينهما أمراً متعذراً حتى كتبه الله على يد هذا الإمام.

لا أحب أن أطيل وكما يقال لا عطر بعد عروس. وأكرر شكري وتقديري للجمعية المباركة ولفضيلة الأستاذ الدكتور فهد بن سعد الجهني، وبارك الله فيكم.

المداخلة الثانية

أ.د. سعيد بن متعب بن كردم القحطاني

الأستاذ بكلية الشريعة وأصول الدين بجامعة الملك خالد

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين، صلى الله وسلم وبارك على أشرف الأنبياء وسيد المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين. أما بعد، فأتوجه لله سبحانه وتعالى بالشكر ثم للجمعية الفقهية السعودية على تنظيم هذه اللقاءات النوعية التي صارت منتدى للمهتمين والمتخصصين ومفزعاً لهم للتشاور والتباحث والاستماع والنقاش، ومنها هذا اللقاء الذي لا أوجز القول بأن ما أحسن الاختيار لعالم جليل وأستاذ فاضل وهو الدكتور فهد الذي تصدى لهذا الكتاب وانتصب له واستقبل الناس للتدارس حوله. والحقيقة أننا نعول كثيراً على الشيخ فهد ونستفيد منه في هذا وفي غيره، لكن الإمام الشافعي اهتم به الشيخ أكاديمياً واهتم به أيضاً درساً وتعليماً وتأليفاً فجزاه الله خير جزاء. وما ذكره في هذه الحلقة أكيد أنه شيء يسير جداً من مجموعة مجلدات كتبها حول الإمام الشافعي سواء في رسالته القياس أو في الكتب التي كتبها عن الإمام الشافعي. فلا شك أن الوقت لا يسمح بأن يأتي على كل ما يحتاج إليه الموضوع، هذا كلنا نعرفه، لأن المداخلات أحياناً قد تُفهم بأنها الاستدراك أو أنها تترك المتحدث شيئاً، لا، هذا نعرفه، وإنما هي نوع معين من المحادثات ومجاذبات، وهذا نادي من الأندية التي نجتمع فيها الآن للتحاور.

ما يتعلق بالرسالة سوف أعرض عن الحديث عن الإمام الشافعي ومنزلته ومكانته وثناء الناس عليه ودوره المحوري في تاريخ الأمة وكونه مجدد من المجددين على رأس المئة الثالثة وغير ذلك، هذه أمور يعني أشبعها الناس بحثاً، على أن هناك من يشغب على هذا ويحاول أن يهون مقامه وقدراته ومكانته بسبب محاولة هدم وجود الشريعة عن طريق هدم أصولها التي الشافعي قام إليها وجزاه الله خيراً ورحمه الله رحمة واسعة، يعني قام بواجب الوقت وواجب الزمان كله تقريباً حتى قيام الساعة.

أنا سوف أتحدث عن الرسالة حول إشكالات عندي أنا، أكيد الشيخ فهد يعني هي موجودة عنده مرت عليه أو ربما أنها مجرد شبهات أو إشكالات عابرة لا تستحق الوقوف وربما تستحق التأمل منا جميعاً.

الأمر الأول: هو مسألة اسم الرسالة. نحن لا بد أن نعرف أن أحياناً يُرمى إلينا معلومة يتلقفها الناس ثم ينشغلون بها ثم يرتبون عليها ثم يعتبرونها أمراً محسوماً. أنا بالنسبة لي لا أرى أن اسمها اسم الرسالة وقد سماها الكتاب كما هو معروف وكذا، لكن الرسالة هو وصفها وصف الرسالة لأنها نُقلت، لأن هذا يترتب عليها قضية وهي مسألة سبب التأليف. سبب التأليف أكثر الباحثين عن الإمام الشافعي يقول عبدالرحمن بن مهدي أرسل رحمه الله إلى الإمام الشافعي، والحقيقة أن هذا ليس بسبب كافٍ لعالم جليل. هذه قصة كما يقولون تصلح أما حتى وإن ذكر البيهقي وسوف أتكلم عن كلام البيهقي. عبدالرحمن بن مهدي أرسل إلى الشافعي يطلب منه قواعد معينة. ما قال أرسل الرسالة أحمد شاكر التي بين أيدينا.

أنا أعتقد أنها مغالطة تاريخية وأنها تحتاج إلى مراجعة. لماذا؟ لأن هذا جعل كثير من الناس يقول الإمام الشافعي كتب نبذاً يسيرة في أصول فقه سُميت الرسالة، وأن الناس بعد ذلك أحدثوا بعده تناولات كبيرة جداً من خلال ما كتبه الناس وكذا. الوضع في نظري ليس كذلك. الوضع أن هذه الرسالة وُصفت بطلب عبدالرحمن بن مهدي من شاب كما ورد في مناقب الشافعي البيهقي صفحة ٢٣٠: كتب للشافعي وهو شاب أن يضع له كتاباً في معاني القرآن ويجمع قبول الأخبار فيه وحجة الإجماع وبيان الناسخ والمنسوخ من القرآن والسنة وإلى آخره. شاب في ٤٥ ما يسمونه إلا كهل. الإمام الشافعي ٤٥ سنة وترى ما عاش بعدها إلا ثماني سنوات أو تسع سنوات. وحتى ورد في ترجمتها أن سنة ٢٠٣ كان الظاهر أنه قد مسه التعب والمرض لأنه بدأ يوصي ويوزع أمواله كما هو معروف في مصر وفي الحجاز وكذا، وبدأ يوزع الجواري ويوزع بيوته ودوره ونحو ذلك ما ذكره العلماء الذين ترجموا له.

فالشاهد أن هذا الشاب الصغير كتب له عبدالرحمن بن مهدي يكتب له يعني هذه فيها صعوبة. كلام البيهقي وهو شاب يعني هذه تجعلنا نشك في أن هذه الرسالة. عبدالرحمن بن

مهدي توفي سنة ١٩٨ والشافعي بدأ بتأليف الرسالة حسب ما يذكر باحثون ١٩٥، يعني أنت انتظرت مع الأزمات الكبيرة التي تمر بالأمة أيها الإمام الشافعي حتى تبدأ تكتب ١٩٥؟ هذا من الصعوبة بمكان سيما وأن هذه الفترة قد شهدت أكبر المعارك الفكرية والثقافية والفقهية والحديثية وقل ما تشاء. ضع عبارة مفتوحة ولا تقفل القوس. هل يعقل الإمام الشافعي يتأخر حتى هذه المرحلة لتأسيس مثل هذه القواعد التي تأتي إلى الأمة سيما مع طغيان أهل المنطق وأهل الكلام وتحذير الإمام الشافعي من أهل الكلام ومع ظهور المعتزلة وكتاب زهدي جار الله ممتاز جداً عن المعتزلة أنا أحيل إليه اقرأوا عنه وما كتبه بإنصاف وهو ليس من أهل السنة عن هذه المرحلة.

فالمراد الذي أريد أن أصل له أن هذا الكتاب الموجود بتحقيق أحمد شاكر وغيره هذا ليس هو الرسالة للإمام الشافعي. الرسالة للإمام الشافعي كُتبت كتبتان، كتبة انتهت ٢٠٤ ولا ما ندري متى، وجماع العلم كُتب بعدها، كتاب جماع العلم كُتب بعدها والأم كُتب قبلها ويحيل على جماع العلم، الأم في مواضع كثيرة يحيل يقول ذكرناها في جماع العلم. إذاً هنا إشكالية لا بد أن نتعامل معها بنوع معين من الإعراض عن كل ما كُتب في هذه الجزئية، وأن هذه الرسالة بتجرد أن رسالة الإمام الشافعي لا بد أن هناك كتاب اسمه الرسالة لأنه ذكر الزركشي في البحر المحيط أول كتاب في مراجع البحر المحيط هو الرسالة، لكن ليس هذا الرسالة الموجود. الرسالة الموجود هو مجموعة كتب يكمل بعضها بعضاً حتى تأتي على أصول فقه تقريباً كله في جذور. تعرفون تطورات أصول الفقه بعد ذلك أكثرها للرد على الشبهات تأتي فتضخمت أصول الفقه، لكن مهر الإمام الشافعي.

يعني أنظر ماذا قال البيهقي قال يطلب الإمام الشافعي يكتب كتاباً في حجة الإجماع، بالله كم الأسطر التي تكلم فيها عن الإجماع في الرسالة؟ كم؟ هل يرد عليه بهذا كتيب الصفحة أو أقل من صفحة؟ ما هي معقولة. على أن الشافعي الذي تكلم عن إجماع ونُسب إليه أنه أول من نصب الأدلة عليه وأنه عندما أتاه رجل في هيئة جبة وعليه هيئة معظمة وكذا ودخل وسأل حتى ابن السبكي في الطبقات قال ربما أنه الخضر صاحب موسى وسأله عن الإجماع وكذا

فعكف ثلاثة أيام لا يخرج وقرأ كتاب الله ثلاثمائة مرة أو ثلاث مرات كل يوم ذكرها ابن السبكي في الطبقات أن هذا الإجماع الموجود الاستدلال الذي ذُكر بآية «ومن يشاقق الرسول» أنه غير موجود في كتب الشافعي غير موجود فيها، هو أشار له البيهقي في المدخل وذكره ابن السبكي في الطبقات وقال إن القصة أن سندها صحيح هذا كلام ابن السبكي. إذن الإجماع أين هو الذي طلبه عبدالرحمن بن مهدي؟ إذاً نحتاج إلى معرفة أين هو؟ أين مسائل الأمر والنهي؟ أصول فقه الرسالة يا إخواني، خليني أكتب بتجرد أو نتكلم بتجرد كأننا في مجلس خاص: هل يعقل أن تكون هذه أصول الفقه؟ لا، أصول الفقه غير هذا كثير وهو من كلام الشافعي لكنه مبدد في كتبه وربما هناك مفقودات كثيرة، والكتاب الرسالة عظيم جداً. ما بين أيدينا هو ورقات، هو ورقات من هذا الكتاب. هذا الذي ظهر لي فيما يتعلق بهذا الكتاب.

بعد ذلك الموقف من الرسالة. هناك من قال بأن الرسالة إذا أردت الأصول فكن ناضجاً مخلصاً، والشيخ محمد – الشيخ محمد جزاه الله خير محمد الجيزاني – طبعاً كتب عن معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة وكلنا ننشد هذا، لكن أصول الرسالة هذه موجودة بين أيدينا وجماع العلم وأنا أعتبره مكملاً للرسالة وغيرها إبطال الاستحسان وغيرها. هذه كلها يعني صراحة صيغت بصياغة جدلية، يعني من أراد يقول خلص أصول فقه من المنطق ومن الجدل وكذا فعليه بكتب الشافعي لأنها قائمة على مسائل افتراضية على إرخاء العنان وعلى القول بالموجب وعلى التسليم الجدلي وهي مناظرات شيدها الإمام الشافعي ربما للرد على الحنفية الذين أتعبوه لأنه عاش معهم في بغداد وأحسن إليهم محمد بن الحسن فإنه شفع له رحمهم الله رحمة واسعة شفع له بعد كلام الوشاه عنه رميه بالتشيع، ثم بعد ذلك جرت مناظرات وكان يرد على محمد بن الحسن ويقدم مذهب الإمام مالك. وقيل بأن الإمام الشافعي استقل بمذهبه عام ١٩٥ هجرية وأنه ما استطاع أن يتخلص من المالكية وسطوتهم العلمية وقدراتهم وإذعانه كما ذكر الشيخ ست عشرة سنة ويتتلمذ على إمام دار الهجرة بدأ يشيد مذهبه ويستقل به وكذا وذهب إلى مصر لتخليص المسألة. الشيخ فهد ذكر أنه للتتلمذ على الفقهاء

هناك لكنه أيضاً ربما للخلوص أو الخروج من بيئة كانت قائمة على إشكالات وبيئة غير صحية لاستقلال مذهب جديد ونشوئه.

إذن الإمام الشافعي عندما أقام هذا الكتاب على مناظرات كلها مناظرات الرسالة وجماع العلم أنا أبالغ في كل من قبيل كل لغوي وليس الكل المنطقي لكنها كثير منها مناظرات افتراضية وبعضها كذلك. كتاب الشيخ فهد يرى أن بعضها أنها مناظرات حقيقية وأنها فعلاً فعلية لكن هذا يعني قد يكون في البعض ولكن لا نستطيع أن نقول إنه في كل المواطن. إذاً هو كتاب مشيد على الجدل وهو كتاب منطق المرحلة كما وصفه الرازي في كتاب مناقب الشافعي قال إنه بمنزلة منطق أرسطو طاليس وهذا بمنزلته في الشريعة، فهو كتاب أيضاً فيه منطق، لكن كلمة منطق من قبيل المشترك الذي فيه تشمل بعض المرفوضات التي رفضها الناس وهي ما يتعلق بالمنطق الصوري الذي شيده أرسطو طاليس وكأنها قضايا ما أتكلم عنها لكن أيضاً هناك منطق آخر موجود في القرآن من ضمن السبر والتقسيم مثل حقائق وصف الحقائق بطريقة معينة أهل المنطق يقولون ببعضها ويرفضون بعضها نأخذ المقبول منها. إذاً هو قام على هذا الأساس الذي وجود المنطق ووجود الجدل مشحون كتب الشافعي مشحونة بهذا.

أختم بأن الإمام الشافعي عارضه يعني أقوام ليس فقط الحداثيين ولكن بداية من الجصاص كما ذكر الشيخ في البيان عارضه في مسألة البيان ولربما أنه انتصار لأشياخ القدماء الذين كان الإمام الشافعي يقدم مذهب الإمام مالك على مذهبهم. وعندما ناظر الإمام محمد بن الحسن وخصمه وحجه في مسألة القياس وكذا يعني هذا جعل الجصاص ربما يعارضه في البيان لأجل أنه أراد منه أن يحذو حذو أهل المنطق والكلام في تعريف البيان والإمام الشافعي سار فيه على طريقة القرآن والسنة والمراد بالبيان كما قال الباقلاني الدليل وليس البيان الذي بالتعريف الذي فيه حد ورسم وكذا. وأيضاً طبعاً خالفوا أيضاً في الإجماع كما هو معروف الإجماع الذي خالفه فيه المتأخرون والبيان طبعاً عارضه الجصاص وغير الجصاص، البصري وغير البصري والإمام أبو الحسين وعيسى بن أبان كما ذكر الشيخ وغيرهم وعارضهم المتأخرون أيضاً بعض أتباع المستشرقين الذين يقولون البيان تقنين للرأي أم ضبط للسلطة يعني كأنه نوع معين من إيش؟

من إلقاء الأيدي على الأفواه وتصوير العقول ومنع وصول أصوات الأذان وأن الإمام الشافعي يريد أن يقود الأمة إلى اتباع السلطان أو الإمام. كما أنهم يقولون هم نفس هذا الباحث نفسه ولا أريد أن أذكر اسمه لأن يعني نسأل الله الحق يقول مثلاً في الإجماع يقول إن الإجماع محاولة لجعل رجل العلم يذلل الصعاب ويحاول أن يجعل الناس ينقادون لرجل السلطة. فهذه القضايا لأنها الآن شبهات معاصرة يتكلمون فيها ويعارضون فيها هذه تقريباً يعني جملة من الأفكار التي ظهرت لي حول الرسالة.

ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يغفر لي إن تجاوزت أو أخطأت في شيء وأن يجعلنا وإياكم من هادين مهتدين. والله أعلم وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المداخلة الثالثة

د. محمد بن طارق الفوزان

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد. أشكر الجمعية الفقهية السعودية على تنظيم هذا اللقاء العلمي وأمثاله وعلى دورها الفاعل في الحقل العلمي، كما أشكر جميع منسوبي الجمعية المخلصين وعلى رأسهم الأستاذ الدكتور جميل الخلف رئيس مجلس الإدارة. وأشكر فضيلة الأستاذ الدكتور فهد بن سعد الجهني على ما قدم في هذه المحاضرة الماتعة وعلى إسهاماته الكبيرة في علم أصول الفقه لا سيما فيما يتصل بالإمام الشافعي.

وأود أن تتضمن هذه المداخلة لمحة موجزة عن أثر الشافعي الأصولي فيمن بعده في ثلاث وقفات بما لا يزيد عن عشر دقائق بإذن الله تعالى.

أما الوقفة الأولى: ففي أثر الشافعي في الإمام أحمد. وقد تضمنت مداخلة أو محاضرة الدكتور إشارة مهمة فيما يتصل بهذه القضية كما سيأتي. فأثر الشافعي الأصولي في الإمام أحمد أثر كبير. فالمتتبع لنصوص الإمام أحمد الأصولية يلحظ أن جملة من ألفاظ الإمام أحمد المنقولة نصاً عنه هي ألفاظ الشافعي بعينها أو هي معاني ألفاظ الشافعي. كما أن المتأمل أيضاً في منهج الشافعي في الرد على المحدثات في طرق الاستدلال يجد أن الإمام أحمد يجاريه في المأخذ الذي صدر عنه الإمام الشافعي. وأضرب على ذلك ثلاثة أمثلة على جهة الإيجاز:

أولاً: جعل الإمام أحمد القياس للضرورة بمنزلة أكل الميتة والتيمم حتى ربما نُقل عنه بعض أصحابه رواية بمنع القياس وفاقاً للظاهرية. وليس الأمر بطبيعة الحال كذلك، بل هو نفي لاستعمال القياس في غير مورده. وهذه المسألة التي هي حجم القياس في الشريعة هي الأم في الفرق بين أهل الحديث وأهل الرأي وقد شغلت حيزاً كبيراً من اهتمام الإمام الشافعي وقد عبّر فيها الشافعي بنحو التعبير المتقدم عن الإمام أحمد من أن القياس إنما يُستعمل للضرورة. هذا المثال الأول.

المثال الآخر: لما رأى الشافعي معارضة أهل الرأي للحديث بادعاء نسخ القرآن للسنة فكانوا يعترض عليهم بالسنة فيقولون هذه السنة منسوخة بالقرآن، فمنع الإمام الشافعي من نسخ القرآن للسنة وعلل ذلك بتعليل دقيق أو ملحظ خفي على كثير ممن كتب في الأصول، فعلل ذلك بأن القرآن لا ينسخ السنة إلا وتأتي سنة جديدة تدل على أن القرآن قد نسخ السنة. بمعنى أن القرآن إذا عرض السنة ونسخها لا بد أن يعمل النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الآية الناسخة فلا بد من سنة تأتي مع القرآن تنسخ السنة. أما القرآن وحده فإنه لا ينسخ السنة لأن نسخ القرآن للسنة هذا توهم من ادعى ذلك – يعني بحسب رأي الإمام الشافعي أو مأخذ الإمام الشافعي – وإلا لم يعجز أحد عن إبطال السنن بادعاء أن كل واحد يقول هذه الآية أبطلت هذه السنة، لا بد من دليل على هذا الإبطال من عمل النبي صلى الله عليه وسلم أو سنة النبي صلى الله عليه وسلم. وهذا الملحظ الذي عنه صدر الإمام الشافعي قد لحظه الإمام أحمد كما نبه عليه ابن تيمية في جواب الاعتراضات المصرية، بل كان الإمام أحمد كالشافعي يتوقف في إطلاق لفظ النسخ فإنه قد سُئل أحياناً عن بعض الأحاديث المتعارضة وأخذ بأحدها وترك الآخر فقيل له تقول إنه منسوخ؟ قال: لا، لأنه يرى أن إطلاق لفظ النسخ على حديث من الأحاديث حكم شرعي فالتوقف بإعمال أحد الدليلين وترك الدليل الآخر لا يلزم منه أن يطلق حكم شرعي آخر وهو النسخ. وقد نبه على هذا ابن رجب في فتح الباري وهو أيضاً من ملاحظ الأئمة الدقيقة وكان الإمام الشافعي كذلك يلحظ هذا الملحظ. المثال الثالث: حذر الإمام أحمد من معارضة السنة والتمسك بالإجماعات الموهومة والمدعاة وقد نُقل عن الشافعي قبله نحو هذا المعنى وأيضاً كذلك كلام الشافعي في الاستحسان منه كلام للإمام أحمد يقرب منه. هذا مثال رابع. المسألة حرية بالاهتمام والعناية والكتابة ولولا ضيق المقام لزدت في التمثيل على ذلك، لكني أختم الوقفة الأولى بكلام مطرب لابن تيمية فيه غاية البيان لأثر الإمام الشافعي في أحمد. يقول ابن تيمية: الشافعي في أصول الفقه أجود لها إجمالاً وتفصيلاً من مالك وتمييزاً بين الدليل وغير الدليل وتقديم الراجح على المرجوح. وكان أحمد يقول عن الشافعي: حديث صحيح ورأي صحيح، وكان يقول عن مالك: حديث صحيح ورأي ضعيف

مع ما في أصول فقه من نوع اضطراب. هذا كلام ابن تيمية عن أصول مالك. ثم قال: وأحمد مفصل لكلامه في أصول الفقه تفصيلاً جيداً – موطن الشاهد – موافق للشافعي في عامة أصول الفقه، بل أصول فقهه تنبئ أنه تعلمها من الشافعي كما تعلم الشافعي منه الأصول المفصلة وهي الأحاديث الصحاح الدالة على مسائل الفقه. ومصداق ذلك ما أورده فضيلة الشيخ فهد أثناء المحاضرة لما ذكر أنه قد وُجد في تركة الإمام أحمد رسالتي الشافعي بخطه، هذا يدل على اختصاص الإمام أحمد برسالة الشافعي ولا بد في هذا الاختصاص من ظهور هذا الأثر والاختصاص في أصول فقه الإمام أحمد. هذه الوقفة الأولى في أثر الشافعي على الإمام أحمد.

الوقفة الثانية في أثر الإمام الشافعي فيمن بعده عموماً. وهنا أود أن أشير إشارة: لا شك أن الإمام الشافعي كما ذكر الدكتور فهد كان له أثر بارز فيمن بعده لأن الشافعي قصد في الرسالة الرد على طائفتين المعتزلة وأهل الرأي حتى أن ابن تيمية يقول عن جماع العلم أظنه مناظرة مع بشر المريسي. فالرسالة شغلت أهل الرأي وشغلت المعتزلة حتى عكفوا عليها، بل ربما كان الاشتغال بأصول الفقه بعد الشافعي أولاً في الطوائف التي رد عليها الشافعي. فلا شك أن القرون الأولى القريبة من الشافعي اشتغلت اشتغالاً كبيراً برسالة الشافعي سواء بالرد أو بالاستشراح بعد ذلك وما يتصل بذلك يعني كان في اتصال وثيق بالرسالة حتى بُني علم الأصول بناءً متأثراً لا شك في ذلك بالرسالة. لكن حقيقة الذي ينظر في كتب الأصول بعد ذلك بعد الباقلاني – يعني ما أستطيع أن أحدد الفترة بالضبط لكن نقول الطبقة هذه التي هي ليست الطبقة الأولى بعد الشافعي ولا الثانية بعد ذلك يعني وبعد توقف شروح الرسالة – يجد أن حضور رسالة الشافعي المباشرة الآن أثر الشافعي لا شك أنه موجود من خلال الكتبة الذين كتبوا في أصول الفقه بعد الشافعي من المعتزلة والأشاعرة أو من الموافقين. لكن بدأت تغيب نصوص الشافعي وبدأ النقل عن الشافعي يكون نقلاً بالواسطة والإشكال أن النقل هذا بالواسطة يعني عن طريق الباقلاني مثلاً والباقلاني عن طريق المعتزلة، مما يتعجب منه أحياناً الناظر في كتب أصول الفقه الشافعية يجد بعض النقول عن الإمام الشافعي المختلة وقد تُطبق

عليها عامة الكتب وهي جلية جداً في نصوص الرسالة حتى أنهم خلصوا يكتفون بهذا النقل الذي نقله الباقلاني مثلاً أو غيره عن معارضة ذلك بنصوص الشافعي فكأن نصوص الشافعي بدأت تغيب عند المتأخرين على ما هو من طبيعة العلوم من الاعتناء بالمتون وترك الأصول التي بُنيت عليها هذه المتون. وأمثل هنا بأربعة أمثلة على جهة العجالة.

مسألة نسخ السنة للكتاب: عكس المسألة السابقة. السنة هل تنسخ الكتاب أو لا تنسخ الكتاب؟ الشافعي تكلم فيها بكلام واضح ظاهر وتكلم عنها بعض أصحاب الشافعي المتقدمين كمحمد بن نصر في كتاب السنة والبيهقي أشار بعض الإشارات لذلك، ومع ذلك تجد في النقل فيها إشكالاً أو إجمالاً أو ما إلى ذلك.

المسألة الثانية: النسخ إلى غير بدل. المشتهر أن الجمهور يذهبون إلى جواز النسخ إلى غير بدل والإمام الشافعي له نص في أن الله عز وجل لا ينسخ فرضاً إلا بفرض محله.

أهم من هذا مسألة التصويب والتخطئة. التصويب والتخطئة فصل فيها الإمام الشافعي تفصيلاً ظاهراً واضحاً ويعني على شكل المناظرة المعهود عن الشافعي وكرر فيها الكلام بالأمثلة ثم تجد أن عامة الكتب الأصولية الشافعية يعني ينقلون عن الشافعي ما نقله المعتزلة عن الشافعي من غير رجوع لكلام الشافعي.

كذلك مسألة مفهوم الاجتهاد عن الشافعي وقد أشار إلى طرف منها الدكتور فهد يعني يُشاع في الكتب قضية تعريف القياس عند الشافعي وتعريف الاجتهاد من غير بث لنص الشافعي أو استدعاء لهذا النص ومناقشته في كتب الأصوليين. هذا منتهى الكلام عن الوقفة الثانية.

وأما الوقفة الثالثة والأخيرة: فهي في أثر الشافعي في البيهقي وهي كالاستثناء من السابق. البيهقي في تصانيفه عموماً كالمدخل إلى علم السنن أو معرفة الآثار والسنن أو السنن الكبرى أو أحكام القرآن أو غير ذلك له عناية خاصة بمعاني ألفاظ الشافعي عموماً وبألفاظه الأصولية لذا تجد عنده من التصرفات الأصولية ما لا يوجد في كتب الأصول اللهم إلا ما يُنقل في كتب الأصول عن شراح الرسالة وأهم من عُني بشراح الرسالة والرسالة كما ذكر الدكتور الزركشي في

البحر المحيط. فمثلاً لما تكلم البيهقي عن نسخ السنة للقرآن وقد نقل عن الشافعي أن السنة لا تنسخ القرآن تأول كلام الشافعي على أن السنة المرادة هنا هي اجتهاد النبي صلى الله عليه وسلم فجعل السنة سنتين. هذا كلام البيهقي في شرح كلام الشافعي فيقول: السنة تنقسم إلى سنتين: سنة وحي وهي بمنزلة القرآن تنسخ القرآن وسنة هي اجتهاد النبي صلى الله عليه وسلم هذه التي أراد الشافعي أنها لا تنسخ القرآن. ولذلك استدل بقوله يعني استدل الشافعي بقوله «ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي» قال السنة التي هي وحي ليست من تلقاء نفسه. الآن بصرف النظر عن خصوص هذه المسألة وهل تأويل البيهقي صحيح؟ مسلم؟ غير مسلم؟ ليس البحث في المسألة الأصولية وإنما المقصود الإشارة إلى تفرد البيهقي ببعض المعاني الأصولية التي لا تكاد توجد في الكتب الأصولية وما ذاك إلا بسبب التعلق والاتصال بنصوص الرسالة يعني من غير وسائط ومن غير نقل عام مثلاً هذا مذهب الشافعي أو هذا قول الشافعي، لا، في تعلق بين البيهقي وبين نصوص الرسالة. وأختم بذلك والحمد لله رب العالمين وأكرر شكر الجمعية وشكر الدكتور فهد والمشايخ المداخلين والحمد لله رب العالمين.

المداخلة الرابعة

أ.د. بندر بن عبد الله العنزي

أستاذ أصول الفقه بقسم الدراسات الإسلامية بجامعة الملك سعود

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه الصلاة وأتم التسليم. أما بعد، أشكر للجمعية الفقهية ولفضيلة الأستاذ الدكتور فهد على هذه المحاضرة الطيبة والمفيدة وسأحاول اختصاره إن شاء الله في نقطتين.

النقطة الأولى: بالنظر إلى المسائل الأصولية لو يعني جمعنا المسائل الأصولية التي ذُكرت مثلاً في كتاب البحر المحيط فرزناها وعددناها فإن عدد هذه المسائل أو حضورها في كتاب الرسالة يعني ضعيف جداً. هناك فجوة بين الشافعي أو عدد المسائل في كتاب الشافعي الرسالة ثم في التأليف الأصولي الذي جاء بعده تقريباً مائة وخمسين سنة بعمل الجصاص أو عمل القاضي الباقلاني ومن جاء بعده. فهذه الفجوة إذا نُظر إليها بأنها يعني فجوة حقيقية فنحن أمام تأسيس ثانٍ لعلم أصول الفقه على يد هؤلاء العلماء. ممكن يقال التأسيس الشافعي هو التأسيس باعتبار موضوع العلم. إذا نُظر إلى موضوع العلم أنه أدلة الفقه الإجمالية وكيفية الاستدلال بها فإن الشافعي هو أول من جمعها وسماها وأشار إشارة إجمالية إلى كيفية الاستفادة منها لأن حضور تفاصيل الدلالة غير موجود في كتاب الرسالة. ومن هنا يعني هذه قد تكون مشكلة بحثية يعني تحتاج إلى بحث. فإذا كان معنا في هذه الندوة أحد من طلاب الدراسات العليا ممكن أن يعالج هذه النقطة بحصر المسائل الأصولية ويعني ذكر من أول من نص عليها وهل هذا يعني هذا التطور؟ هل هو تطور مفاجئ كما يظهر لنا يعني خلال مائتي سنة مائة وخمسين سنة من وفاة الشافعي أو هناك يعني مساعٍ أصولية تدرجت وتطورت لكن ليست في كتب أصول الفقه يعني قد تكون في كتب شرح الحديث قد تكون في نصوص الفقهاء في كتبهم الفقهية. فهذه

يعني أظنها مشكلة بحثية والدكتور سعيد أيضاً أشار إليها إلى الحجم الموجود يعني عدد المسائل أو كذا فلعل هذه مما يحتاج إلى دراسة.

النقطة الثانية: وهي أيضاً جديرة بالبحث أننا إذا نظرنا إلى مدرسة أهل الحديث في مقابل مدرسة أهل الرأي فإننا نجد أن مدرسة الحديث نستطيع أن نقسمها إلى مدرستين: مدرسة العمل ومدرسة ظاهر اللفظ أو ظاهر النص. وأظن الشافعي بمن يمثل مدرسة ظاهر النص وأظن مدرسة الحنبلية ومدرسة الإمام مالك هي ممن يمثل مدرسة العمل. وتتضح هذه النقطة بموقفهم من بعض المسائل الأصولية كالموقف من فقه الصحابي يدخل في مسألة العمل وأيضاً الموقف من الإجماع السكوتي وأيضاً الموقف من الحديث المرسل. فهذه تقريباً تجدها يعني ظاهرة بشكل واضح عند مدرسة العمل في المدرسة المالكية والمدرسة الحنبلية وقد لا تظهر بشكل واضح عند المدرسة الشافعية. صحيح أن هناك من يخالف ويقول إن الشافعي يحتج بقول الصحابي وأنه أيضاً يأخذ بالإجماع السكوتي ويجعله حجة أو إجماعاً وهذه مسألة يعني من المسائل المشهورة في أصول الفقه، لكن يبدو لي أن حقيقة الخلاف وهذه فرضية تحتاج إلى بحث وأن الشافعي إذا وجد ظاهر اللفظ فإنه يعممه على كل أفراده ولا يجعل يعني قول الصحابي مخصصاً ولا يجعل مثلاً الإجماع هنا معارضاً أو مخصصاً للإجماع السكوتي بل إنه يقوي الظاهر اللفظ. ولعل هذا يفسر موقفه من الاستحسان. الحقيقة الاستحسان هو تخصيص لظاهر اللفظ أو تخصيص للعلة لأن ظاهر اللفظ قد يُستنبط منها علة وقد يعني نص بعض الباحثين على أن حقيقة الاستحسان هي تخصيص للعلة أو تخصيص للنص أو ظاهر النص أو العموم بقول الصحابي أو بالإجماع السكوتي أو بالمصلحة أو بالضرورة. فهذه أيضاً فرضية تحتاج إلى دراسة بحثية يعني التفريق بين المدرستين وحقيقة القول الثابت في هذه المسائل هل هو في الحقيقة رد مطلق أو هو رد لها إذا كانت في مقابل ظاهر.

النقطة الأخيرة: أيضاً أثر الشافعي في الرسالة أو أثر مدرسة الشافعي الأصولية أنا أرى أن لها أثراً حتى خارج المدرسة الشافعية فإن لها أثراً مثلاً على المدرسة الظاهرية وأيضاً لها على مدرسة الفقه المعاصر أو فقه فكرة الأخذ بالدليل أو القول الراجح أن في كثير من مضامينها هي في

الحقيقة يعني تتقمص العقلية عقيلة الإمام الشافعي وتتأثر بها وأيضاً هذه فرضية أيضاً بحاجة إلى دراسة. أكتفي بهذه الأفكار كأفكار يعني ليست أفكاراً تحقيقية إنما هي أفكار فرضيات تحتاج إلى دراسة وتحقق. هذا والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا.

تعليق أ.د فهد الجهني على المداخلات:

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله. لا شك أن أحد المقاصد والحكم من هذه الندوات هو أن نسمع ونستمع ونستفيد من هذه المداخلات لأهل العلم لا شك أنها تثري وأنا خرجت منها بفائدة كبيرة ولله الحمد.

الأستاذ الدكتور الشيخ الفاضل محمد الجيزاني يعني ذكر علاقة الأمر القدري بالأمر الشرعي وهذه لفتة جميلة جزاه الله خير.

الدكتور سعيد كردم جزاه الله خيراً استفدنا منه كذلك وأنا لم أقل أن الشافعي رحمه الله ألف الرسالة من أجل رسالة بن مهدي. أنا ذكرت في كتابي قلت يخطئ من يحصر سبب تأليف الرسالة. سبب تأليف الرسالة هو الواقع الفكري الموجود وراء الشافعي أن من نصف الأمة ومن باب البيان أن يكتب للناس كتاباً يعني يبين لأهل الحديث كيف يتفقهون؟ لذلك أحمد يقول ما عرفنا فقه الحديث حتى جاء الشافعي وما عرفنا العام والخاص والناسخ والمنسوخ. فرسالة عبدالرحمن بن مهدي ما هي إلا يعني شيء من هذا بل عندما نحلل هذا النص نستفيد من أشياء كثيرة أن هذا أن هذه الجمل التي ذكرها ابن مهدي هي جمل ومعاني علمية كانت حاضرة في ذاك الوقت سواء كانت تمثل كل أصول الفقه أو لا تمثل كل أصول الفقه هذه مسألة لا شك أنها لا تمثل إلا جزءاً يسيراً من أصول الفقه لكن نحلل هذا النص ونخرج منه أنها حاضرة عند المحدثين. إنه يقول يعني ما يُعرف من فقه الحديث إلا بعد أن جاء الشافعي. قصة ابن مهدي ليست عند البيهقي فقط الشيخ سعيد ولكن ذكرها كثير جداً ابن أبي حاتم الرازي المعروف متقدم توفي ٢٠٠ وشوية ذكر بأسانيد كثيرة مملوءة في كتابه ذكرها كل من ترجم

للشافعي بعد الرازي ابن أبي حاتم ذكرها البيهقي ذكر ابن تيمية يكاد يطبق أهل العلم على أن عبدالرحمن بن مهدي كتب رسالة للإمام الشافعي وأنها مؤثرة لا شك لأنها من إمام كبير وهو شيخ أحمد.

الأمر الآخر هو لم يُسمِّها الرسالة إنما كان يسميها الكتاب لكن الرسالة سُميت يبدو أن حتى في عصره يقول ابن مهدي في أكثر من رواية لما قرأت الرسالة أذهلتني وكذلك الإمام أحمد رحمه الله يسميها الرسالة فتسمية هؤلاء الأئمة لا نستطيع أن نقول يجب أو ينبغي أن نعرض عن كل ما كُتب. كيف نعرض عن كل ما كُتب؟ كل ما كُتب فيه الصحيح سنداً وفيه الذي يحتاج إلى تحليل. وإذا أعرضنا عن كلام هؤلاء الكبار الذين تكلموا في الرسالة وأنها الكتاب أنا حقيقة ما فهمت شيئاً من كلام الدكتور سعيد هل يقول إن كتاب الرسالة الموجود بين أيدينا ليس هو كتاب الرسالة وأنه ليس في أصول الفقه وأن الموجود فيه هو مجرد شذرات وكذا هذا كلام حقيقة يعني أنا أقول خطير لأنه كتاب الرسالة كتاب مؤسسي يعني كتاب تأسيس وكتابة تأسيس والكتاب التأسيسي دائماً يكون له نظمه الخاص وطبيعته الخاصة لا نستطيع أن نقارن كتاب الرسالة ونحاكمه على كتاب الغزالي ولا على كتاب البحر المحيط أبداً إنما في الرسالة جمل العلم وأسس العلم وتكلم في أشياء كثيرة حتى في الإجماع تكلم حوالي فيه عشر صفحات ليس في سطرين أو ثلاثة وبث كلامه في الإجماع في كتب في الرسالة كلها في جمل وتكلم عن النهي بما تكلم به من بعده في قضية أنه يقتضي الفساد هذه موجودة بعينها وفصها في كلام الإمام الشافعي رحمه الله في باب النهي يعني يمكن حوالي بعشرين صفحة ونفس الأمثلة تقريباً والنهي إذا كان لعينه وإذا كان إلى آخره تكلم عن العموم والخصوص تكلم عن أشياء كثيرة فيعني لعلي أفهم إن شاء الله من الدكتور فيما بعد مقصده من كلامه الأخير.

الدكتور محمد جزاه الله خير ذكر كلاماً مهماً وهو أثر الشافعي على أحمد لا شك أنه أثر كبير وأنا كتبت لي مقالاً في مجلة الأصول الحنبلي في الكويت بعنوان العلاقة بين الإمامين أحمد والشافعي وذكرت ذلك في كتابي وتوسعت فيه وهذا كما ذكر الدكتور أثر حتى على أصول

الإمام أحمد وغياب نصوص الشافعي هذا كلام صحيح يحتاج إلى بحث. أثر الشافعي في البيهقي هذه لفتة مهمة من الدكتور جزاه الله خيراً.

الدكتور بندر جزاه الله خيراً أفادنا أن يكون هناك فرق كبير بين مسائل أصول الفقه في البحر المحيط لأنه ديوان مثل المغني في الفقه وبين عدد مسائل الرسالة حتى عدد مسائل الجصاص ولا حتى البرهان إلى آخره هذه طبيعة التأسيس أيها الإخوان نعم ثم ذكر يعني مبحثاً مهماً يحتاج إلى بحث وهي مدرسة الحديث وأنها تنقسم إلى قسمين الشافعي عموماً يميل إلى ظاهر النص وأخذ عنه هذا الإمام أحمد رحمه الله.

أختم أيها الإخوة بأن أذكر لكم شيئاً لطيفاً أن هذا الكتاب «المناهل الزلالة على الدلالة من الرسالة» هذا فيما أحسب أول نظم على كتاب الرسالة. أنا في كتابي «رحلتي» في الأخير جمعت قواعد الإمام الشافعي في الرسالة في مائة وثمان وعشرين قاعدة وأسميتها «الدلالة على القواعد والفوائد في كتاب الرسالة» ورتبتها على أصول أبواب أصول الفقه. ثم جاء أحد الطلاب جزاه الله خيراً وهو طالب صومالي من طلاب المنح ونظم هذه القواعد في مائتي بيت تقريباً وأسماها «المناهل الزلالة على الدلالة من الرسالة». وهذا يدل على أن ذكر الشافعي وتراثه لا يزال حياً.

أسأل الله تعالى أن يوفقنا وإياكم للفهم عن علمائنا وأن يجزيهم عنا خير الجزاء. وأشكر الجمعية مرة أخرى على أن أتاحت لي الفرصة أن أتكلم بهذا الكلام وأقول ما عندي وأتاحت لي أن أستمع إلى كلام العلماء الأفاضل وإلى تنبيهاتهم المهمة وقد وردت أسئلة كثيرة لا نستطيع أن نجيب عنها الآن، والله أعلم صل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد.

أصل هذي الورقة لقاء علمي أقامته الجمعية الفقهية السعودية (عن بعد) بتاريخ ١٤٤٧/٨/١هـ وتم نشره مسجلا على قناة الجمعية في اليوتيوب